قصة صمود وسقوط النبعة

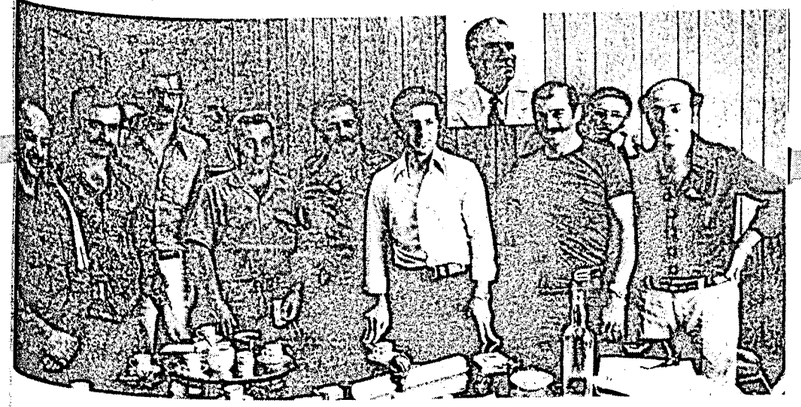

امين الجميل وممثلون عن الاحرار وحراس الارز يتوسطون العميل احمد صفوان وعلي المولى والملازم شعيتو في مركز الجديدة الكتائبي اثناء البحث في اسقاط النبعة ..

...لم فتحوا الطريق؟

جاؤوا اليها من الجنوب والبقاع والهرمل وبعلبك وحتى عكار ، فقراء معدمين ، هربا من سياط السادة الاقطاعيين من آل الاسعد والزين والخليل وحمادة وسكاف والعلي وغيرهم من اقطاعيي هذه المناطق . جاؤوا اليها ليشكلوا حلقة من حلقات حزام البؤس حول مدينة بيروت . حيث تحول بعضهم الى المصانع ، التي انشئت هناك ، ليعملوا فيها باجور زهيدة واتجه البعض الاخر للعمل في مرفأ بيروت والبعض للعمل في الحرف كصناعة الاحذية والجزادين .

عملوا جميعا نساءا ، ورجالا ، واطفالا حتى يستطيعوا تأمين ثمن لقمة عيشهم وشراء بعض حاجاتهم الضرورية .

يرجع تاريخ وجود الجنوبيين في النبعة الى ما قبل هزيمة عام ١٩٤٨ . ممن ضاق بهم العيش تحت نير وظلم الاقطاع .

اما بعد الهزيمة فقد ازداد تدفق النازحين المتضررين من الاحتلال الصهيوني واستمر تدفق الجنوبيين بعد هزيمة عام ١٩٦٧ هربا من الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على قرى الجنوب.

وباختصار فان عدد سكان النبعة وبرج حمود وكل مناطق حزام البؤس كان يزداد كلما ازدادت حدة معاناتهم الطبقية والوطنية وكلما ازداد قمع الطبقة الحاكمة ، وقد بلغ الامر ذروته حتى اصبح تعداد النازحين الى هذه المنطقة وجوارها اكثر من مئتي الف نسمة ، تضم النبعة وحدها حوالي مئة وسبعين الفا منهم .

عاشوا فيها غرباء عن « لبنان الاخضر » «لبنان العلم والنور » حيث كان الاهمال يلف منطقتهم من كل حدب وصوب ، دون ان تتذكرهم الدولة او بالاحرى ازلام الدولة الا في موسم الانتخابات لشراء اصواتهم بوعود معسولة وابتسامات مزيفة، وحيث تركوا لقمة سائغة لتجار العلم وتجار الدواء والطبابة والسماسرة والمرابين !

الهاربون من البؤس والشقاء والظلم الذي يرتع في مناطق الجنوب لم يجنوا من وجودهم في النبعة سوى البؤس والشقاء ثم النزوح من جديد الى حيث اتوا . لكن هذه المرة نزحوا ايتاما ، وثكالى ، وعجزة ، وارامل ، مشردين دون مأوى منكوبين .. مفجوعين . مرضى . مشوهين . مهزومين .

خاتمة المطاف

على بوابة المتحف التقينا النازحين بالعشرات، بل بالمئات ، القادمين الى بيروت الغربية .

● ابو احمد مواطن من بلدة بنت جبيل في الجنوب كان يصيح : اخ يا كسرتي ، يا خراب بيتي ، زعبوني بالقوة طلعوني حافي انا واولادي الصغار خطفوا ابني الكبير

● الحاجة لطيفة قالت : نهبوا بيوتنا ، ضربوني .

● العجوز ناصر ناصر : انا شفتهم حرقوا الشباب اللي كانوا بالمستشفى اللي باعنا اياها ببلاش الكافر موسى الصدر .

● عليا ام محمد : اغتصبوا ابنتي الصغيرة وذبحوا عمها .

● مازن ، ولو في العاشرة من عمره ، ثيابه ممزقة قدماه متورمتان من المشي الطويل : المجرمون سحلوا ابي . سأنتقم .

● رجل مسن رفض الافصاح عن اسمه قال « حلوا عنا هلق ، نحن فاضيين لكم ، اتركونا بتعتيرنا » .

● ام علي : روحوا للنبعة لتعرفوا شو صار فينا شو عم تعملوا هون . باعونا . خانونا . غدرونا زعماؤنا .

● حامد : كلهم السبب بالشي اللي صار فينا . وين قيادة الحركة الوطنية من مآسينا .

اتركونا لحالنا . بس شاطرين بالحكي . شو ما كان فيهم يفتحوا الطريق لعندنا حتى يخلصونا ؟

رحلة الآلام

هذه هي نهاية الـ ١٦ شهرا من الصمود . النهاية التي بدأت حين استكمل المتآمرون من الداخل والنظام السوري وعملاؤه والفاشيون مخططهم لاسقاط النبعة – برج حمود بعد ان انضجوا الظروف ، وتحينوا الفرصة المناسبة للانقضاض على المنطقة الوطنية ، وبعد ان حبكت خيوط المؤامرة وجمعت اطرافها من الداخل والخارج .

كانت النبعة احد اهداف القوى الانعزالية التي يريدون الاستيلاء عليها منذ بدأت الاحداث الى جانب تل الزعتر والمسلخ والكرنتينا ، وضبيه وسبنيه وحارة الغوارنة وغيرها من المناطق التي ينوون الاستيلاء عليها .

منذ ١٦ شهرا من الصمود في وجه الحصار المفروض عليهم . والذي عانى منه فقراء النبعة – بر... بصمت ، جاع منهم كثيرون ، قتل منهم كثيرون على الحواجز الطائفية : مجزرة التيرو... العدلية – وغيرها من المجازر الافرادية والجماعية – وكثيرون من جراء القصف الوحشي والقنص الدائم .

بداية المجزرة والتهجير

طيلة الـ ١٦ شهرا من الحصار كان سكان النبعة – برج حمود خلالها يصدون اعتداءات الانعزاليين ويصمدون ويتعايشون مع الارمن المتواجدين في المنطقة ويتقاسمون العيش في السراء والضراء ، وفجأة بدأت الاستفزازات والاشتباكات تقع بين جماعة من الارمن الطاشناق وبين بعض مسلحي النبعة ، كانت تنتهي في كل مرة بمصالحة عشائرية ، وببعض الجرحى والقتلى من الطرفين، وبعدها ازداد تصاعد وتيرة الاشتباكات فيما بينهم ومعها ازدادت الهجمات المتلاحقة للقوى الفاشية من كتائب واحرار رغم الاتفاقات المتكررة التي عقدت مع ممثلي الاحزاب الارمنية والحركة الوطنية على وقف اطلاق النار فيما بين جماعة الارمن الطاشناق ومسلحي النبعة . ورغم الوعود التي قطعها ممثلو الاحزاب الارمنية على انفسهم ببقائهم على الحياد ، لممثلي الحركة الوطنية . ورغم الزيارات الودية المتبادلة فيما بينهم .

وفي يوم ٢٣ تموز فتح مسلحو الطاشناق نيران اسلحتهم بطريقة القنص الكثيف من شارع اغابيوس على مداخل النبعة وشوارعها من دشمهم المسلحة التي كانوا قد انشأوها لهذا الغرض

وكان الكتائبيون يدعمون غلاة الارمن الطاشناق جهة كمب مرعش ، فيما كان الاحرار يقدمون الدعم العسكري من ناحية كمب طراد . وكانت حصيلة هذا اليوم والايام التي تلته حتى ٢٦ من تموز قتل ٦٧ شخصا واصابة ٢٠٠ شخص معظمهم طعنوا بالسكاكين والخناجر وحراب البنادق . واغتصب العشرات من النساء والفتيات واحرقت مئات المنازل بعد ان نهبت . وكانت بداية التهجير المذل ورحلة الالم والمخاطر الى المنطقة الشرقية ، على سمع وتحت انظار جامعة الدول العربية ، وبالاتفاق مع ممثلي « حركة المحرومين » والاسد ، والصدر ، والاسعد ، والمرتزقة من ازلامهم في الداخل الذين شاركوا في القتال وطعنوا ظهور المدافعين عن النبعة – برج حمود من الخلف. والذين كانوا يحضرون وسائل النقل سلفا لتشجيع السكان على ترك منازلهم امعانا منهم في تفريغ المنطقة وحتى تسهل عليهم عملية الفرز بين السكان على حواجز الكتائب والاحرار بين محايد ، ومقاتل وطني ، لبناني ، وفلسطيني . مؤيد ، او مناهض لكي يختاروا لكل فئة على حدة طريقة الموت ذبحا ، او حرقا ، او اذلالا وتشريدا، او ضربا ولكي يتسنى لهم مكافأة مؤيديهم وعملائهم . هذا ما فعله وما كان يفعله ازلام الاسعد والصدر والمولى وشعيتو وصفوان على حواجز القتلة والمجرمين امثال حكمت بيضون وغيره .

وبعد ان نجحت خطة التهجير انقض الفاشيون على المنطقة الوطنية للاجهاز على معاقل المقاتلين والوطنيين من الاهالي الذين رفضوا الاستسلام . ورغم نجاحهم في الدخول الى المنطقة ، فان نصرهم لم يكن سهلا حيث تكبدوا خسائر فادحة لم يضعوا لها حسابا ، رغم كل التسهيلات التي قدمها لهم عملاء الداخل من تجار الدين والشهادة ...

نازحو النبعة لم يحاربوهم فقط بآلة الحرب المدمرة ، ولم يكتفوا بحرب الاشاعات والتهديدات، حين قطعوا عن منطقتهم الماء منذ بدء الهجوم ، وحين جروهم كالنعاج الى حسينية النبعة ومراكز الاحزاب الارمنية .

هل توفرت لجماهير النبعة عوامل الصمود والشجاعة ومقوماتها التي تتجلى بعدة امور كوجود قيادة عسكرية وسياسية متمرسة في القتال والنضال السياسي الفوري . قيادة مستعدة للاستشهاد في سبيل تحقيق قضايا جماهيرها ، تعمل على التعبئة السياسية ، والتعبئةالعسكرية، وعلى اقامة التحصينات ، وتأمين التسليح والتموين للجماهير ، وانشاء الملاجىء والاهتمام بادارة وتنظيم امورها ، والاستفادة الى اقصى حد من طاقاتها والعمل على تمتين الجبهة الداخلية، وذلك بملاحقة العناصر والجيوب الرجعية والمشكوك في امرها ، والمكشوفة بعلاقاتها المشبوهة ، وقطع دابر دعاة الاستسلام الى جانب العمل المخلص والجاد بتوحيد صفوف المقاتلين وتنسيق العمل فيما بينهم ؟؟؟

اسباب الهزيمة

ان جماهير النبعة التي صمدت ١٦ شهرا متتالية وعانت ما عانت منه جماهير المخيم الصامد، كانت تفتقد مقومات الصمود الطويل في مجابهة هجمة القوى الفاشية البربرية على المنطقة من الداخل والخارج لذلك كان سقوط النبعة اسرع من تل الزعتر ، وكانت الهزيمة المريرة التي تتجلى اسبابها بالامور التالية :

اولا : لم يتوفر للنبعة قيادة عسكرية ولا سياسية في مستوى حجم المعركة ولا في مستوى تضحيات الجماهير وطموحاتها.

وبالطبع فان عدم وضوح الرؤية السياسية ادى الى عدم التحضير للمعركة بالمستوى المطلوب .

ثانيا : ان جبهة النبعة الداخلية كانت مفككة مبلبلة يتجاذب جماهيرها وجهات النظر المتعددة والمختلفة التي كانت تتراوح بين النهج الثوري والنهج الاصلاحي المساوم والنهج الليبرالي المستسلم ، والرجعي ، والشوفيني والطائفي ، والصهيوني والمتآمر . بالاضافة الى تضخيم بعض الممارسات الخاطئة التي كانت تصدر عن بعض عناصر التنظيمات واعطائها حجما اكبر مما هي عليه ، كالتفرد ببعض الاعمال انطلاقا من الصهيونية التنظيمية والفئوية والمزايدات الرخيصة . مما جعل هذه الجبهة تتآكلها التناقضات الثانوية التي طغت على السطح على حساب التناقض الرئيسي مع الخصم .

ثالثا وقعت الحركة الوطنية بخطأ جسيم ادى الى فشلها حين سمحت ببقاء المتآمرين والخونة في الداخل ، المدعومين من النظام السوري الغازي والمتحالفين مع الفاشيين العملاء والذين ساهموا بقسط وافر في بث روح التخاذل والانهزامية لدى جماهير النبعة ، بعد ان كانوا شركاء في افتعال الحوادث المغرضة ضد الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية . وبعد ان قاموا باغتيال بعض العناصر الوطنية وعملوا على تمزيق وحدة الصف الوطني في الداخل .

رابعا : استفادت القوى الفاشية من تجربتها في معركة تل الزعتر التي كبدتها خسائر كبيرة وعرضتها لضغوطات واسعة من الصليب الاحمر الدولي والرأي العام العربي العالمي التقدمي فعمدت الى فتح بعض منافذ الهرب للمواطنين في النبعة امعانا منها في تفريغ المنطقة ليسهل عليها التفرد بالمقاتلين ولتستطيع تسجيل نصر سريع دون ان تتكبد خسائر فادحة كما حدث لها في تل الزعتر .

خامسا : لقد كان لحجم الهجمة الفاشية على المخيم في ظل عدم التكافؤ في ميزان القوى اثر ساهم في ازدياد انهيار الجبهة الداخلية ومهد لدخول القوات الفاشية الى النبعة .

سادسا : ان عدم فتح الجبهات الاخرى اثناء الهجوم على منطقة النبعة – برج حمود ، لتخفيف الضغط عنها ، بحجة الحفاظ على اتفاق وقف اطلاق النار واختبار نوايا الفاشيين ، وفتح مجالا للقوى الانعزالية للاستفراد بالنبعة وحشد قوات كبيرة لشن الهجوم عليها . مما ادى الى سقوطها بهذه السرعة .

المسؤولية الاساسية

ان مسؤولية ما حصل للنبعة والمسلخ والكرنتينا وسبنيه وحارة الغوارنة وضهور الشوير وبيت شباب وما يحصل الان لمخيم الصمود على يد القوات الفاشية المدعومة من قوات الغزو السورية وما حصل للكورة وشكا والبترون ، وعكار وبعلبك والبقاع على ايدي القوات السورية الغازية ، ورغم كل التبريرات ، تقع اساسا على عاتق قياداتنا في المقاومة والحركة الوطنية . فهذه كان يجب عليها العمل بجدية اكبر على الاقل ، لفتح طريق تل الزعتر والنبعة قبل التدخل السوري الذي قلب ميزان القوى العسكري لصالح القوى الفاشية ..

هذا من جهة ومن جهة اخرى كان عليها ان توفر امكانيات الصمود للجماهير بشكل افضل مما حصل .

الجماهير ... بعد النبعة

اذا كانت النبعة قد سقطت لهذه الاسباب مجتمعة ، فاننا لا ننسى ان هناك شهداء قاتلوا حتى الطلقة الاخيرة.

علينا ان لا ننسى هؤلاء وان نكون اوفياء لهم بالاستمرار في القتال حتى النصر او الشهادة ...

كذلك ، علينا واجب الاهتمام بأهاليهم واهالينا النازحين وعد مفتح المجال امام الاسعد الاقطاعي وازلامه والصدر وامثاله من سماسرة الدين من استغلال اوضاعهم من جديد ومد يد العون المزيفة لهم وهم الذين كانوا سببا في مأساتهم . لنعمل على خلق ثوار منهم على كل من كان سببا في محنتهم وخرابهم . وليس اذلاء يستجدون العطف والعون .

فلنسارع الى نجدتهم بتأمين المأوى والمأكل لمن ليس له مأوى ، وتأمين وسائل النقل .

ولا ينبغي ان ننسى ان صمود النبعة وصمود التل ، قد علمنا الكثير الكثير ، وما علينا الا ان نستفيد من دروس معاركهما في الجولات القادمة ضد مستغلينا ومضطهدينا على الصعيدين الطبقي والقومي .

زينب